JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ
العدد الثالث
(٢١٣) -(٢٣١)

الإنسان في القرآن الكريم، حقيقته والغاية من خلقه
دراسة قرآنية

م.د جاسم حسن هاشم الموسوي
جامعة المصطفى الأمين الأهلية/ كلية الفقه.
jasim.hasan@mau.edu.iq

المستخلص:

اهتم القرآن الكريم بالإنسان اهتماماً بالغاً باعتباره المقصود الأول بوحي السماء الذي تكامل في الرسالة الخاتمة التي بعث بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يدرك تمام الإدراك أن الإنسانية في الإنسان ليست ببناء جسده، ولا بحجمه، وشكله، ولكن الإنسانية فيه هي بقدرته على فهم رسالته في هذه الحياة، وعلى القيام بها على الوجه الذي يرتضيه الله تعالى، وعلى حمل أمانة التكليف التي عرضها عليه الله تعالى وقبل حملها.

Human In The Noble Qur'an, His Reality And The Purpose Of His Creation
Quranic Study
Jasim Hasan Hashim Al- Musawi

Abstract

Take care Qur'an paid great attention to the human being, as it is the first intended purpose of the revelation of heaven, which was integrated in the final message sent by the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace). The humanity in him is his ability to comprehend his message in this life, and to carry out it in a manner that is acceptable to God Almighty, and to carry the trust assignment that God Almighty offered him and before he carried it.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده المصطفى " محمد" وعلى آل بيته الطاهرين. وبعد ، فإن الإنسان في الرؤية القرآنية ، يشكل المحور الأساسي في الخطابات القرآنية ، بل غاية نزول القرآن لهداية الإنسان وتكامله، وقد أحاط الله عز وجل الإنسان بعنايته ، وأغدق عليه من نعمه، وسنَّ له من التشريعات ما ينسجم مع تكوينه المادي والمعنوي ، فلم يهمل جانباً من جوانب تكوينه وخلقه ، ولم يُغلِب جانباً على آخر ، كل ذلك من أجل ضمان تكامله ، والتخلق باخلاق خالقه وبارئه. من هنا جاء البحث لمعرفة حقيقة الإنسان في القرآن الكريم ، والتعرف على الغاية من خلقه. تكمن مشكلة البحث في حل التعارض الحاصل في القرآن الكريم في تحديد الغاية من خلق الإنسان. إذ لم يقتصر القرآن الكريم على بيان غاية محددة لخلق الإنسان ، بل يظهر من خلال استقراء الآيات القرآنية وجود غايات متعددة لخلق الإنسان ، يلزم من ظاهرها ، وجود التناقض أو التدافع بين الغايات المتعددة. فجاء البحث عبارة عن أربع مطالب ، المطلب الأول في بيان حقيقة الإنسان في القرآن الكريم. والمطلب الثاني في تسخير الكون للإنسان. والمطلب الثالث في حرية الإرادة الإنسانية. والمطلب الرابع في الغاية من خلق الإنسان ، ومن الله العون والتوفيق.

المطلب الأول: حقيقة الإنسان في القرآن الكريم

الإنسان في القرآن الكريم ذو بعدين، يمتلك جسما ماديا، ونفسا مجردة، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك بوضوح ، فهناك آيات تشير الى مادية الإنسان ، وإخرى تشير الى الجنبة الروحية في الإنسان.

أولا: البعد المادي للإنسان

آيات قرآنية تثبت الجنبة المادية للإنسان، وتبين أنَّ أصل المادة التي خلق منها الإنسان هو التراب (أو الطين).

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ (سورة الروم، آية٢٠)

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ (سورة الانعام، آية٢)

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ (سورة ص، آية٧١)

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ (سورة الحجر، آية ٢٨)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (سورة الصافات ، آية١١)

﴿ وَلَقَد خَلَقنَا ٱلإِنسَٰنَ مِن صَلصَٰلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسنُونٍ﴾ (سورة الحجر، آية٢٦)

الصلصال وتعني الطين الجاف فأصل الصلصال : تردد الصوت من الشيء اليابس، ومنه قيل : صل المسمار، وسمي الطين الجاف صلصالاً (الأصفهاني، ١٩٩٦، صفحة ٤٨٨)

ثم يشير القرآن إلى تكون الإنسان من صور مختلفة ومتنوعة في مسيرته نحو التطور الجسماني

﴿ فَإِنَّا خَلَقنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُم وَنُقِرُّ فِي ٱلأَرحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (سورة الحج، آية٥)

﴿ وَلَقَد خَلَقنَا ٱلإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلنَٰهُ نُطفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقنَا ٱلنُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقنَا ٱلعَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقنَا ٱلمُضغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَونَا ٱلعِظَٰمَ لَحمًا ثُمَّ أَنشَأنَٰهُ خَلقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحسَنُ ٱلخَٰلِقِينَ﴾ (سورة المؤمنون ، آية١٢-١٤) .

العلقة: من مادة (عَلَق) وهي في الأصل بمعنى العلاقة ، والارتباط بشيء، وجاءت بمعنى " الدم المتخثر" وقد سميت " العلقة" بهذا الاسم لأنها احدى مراحل تكوين الجنين في رحم الأم : فهي تشبه قطعة الدم المتخثرة. (الأصفهاني، ١٩٩٦، صفحة ٥٨٠)

قال ابن فارس:" علق: العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد ، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي، ثم يتسع الكلام فيه ". (فارس، ٢٠٠٨، صفحة ٦٧٠)

المضغة: من مادة(مَضغ) بمعنى مضغ الطعام ، والمضغة : قطعة اللحم . وإطلاق هذا المصطلح على إحدى مراحل الجنين التي تأتي بعد مرحلة " العلقة" جاء من باب تشابهها مع مثل هذا اللحم، ففي ذلك الحين يصبح الجنين بشكل قطعة حمراء فيها الكثير من العروق ذات اللون الأخضر. (فارس، ٢٠٠٨، صفحة ٩٥١) (الطريحي، ٢٠٠٨، صفحة ١١)

يستفاد من مجموع الآيات اعلاه أنَّ الإنسان كان تراباً في البداية، وقد امتزج هذا التراب بالماء واستحال إلى الطين، وقد أخذ هذا الطين بعد مضي مدة شكل الوحل، ثم استخلصت من عصارته المادة الأصلية لآدم ثم جففت ، وباجتيازها المراحل المهمة يكّون آدم. (الشيرازي، ١٤٢٦، صفحة ٤٧)

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وهناك آيات قرآنية تشير الى آلية استمرار النوع الإنساني، وخِلقَة الإنسان في المراحل والأجيال اللاحقة.

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ (سورة الطارق، آية ٥-٦) ‘

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (سورة العلق، آية١-٢)

﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ (سورة المرسلات، آية٢٠)

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تثبت مادية الإنسان .

ثانيا: البعد الروحي للإنسان:

هناك آيات قرآنية تؤكد أنَّ للإنسان بعداً آخراً غير البعد المادي ، وهو البعد الروحي وبهذا البعد تتحقق إنسانية الإنسان فيه، وليس الجسد إلا أداة لنشاط الروح ، ومركباً لحركتها وانفعالها في هذه الدنيا، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ .(سورة المؤمنون، آية١٢-١٤)

ذكر المفسرون تفاسير متنوعة في المراد من العبارة الغامضة : (الخلق الآخر).

قال الألوسي:" ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ" مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جُعل حيواناً ناطقاً سميعاً بصيراً، وأودع كل عضو منه، وكل جزء عجائب، وغرائب لا تدرك بوصف، ولا تبلغ بشرح. وذكر أقوالاً منها: الخلق الآخر بمعنى النفس الناطقة. والمعنى أنشأنا له أو فيه خلقاً آخر، والمتبادر من إنشاء الروح خلقها، وظاهر العطف بأداة "ثُم" ، يقتضي حدوثها بعد حدوث البدن. وقيل : الخلق الآخر القوى الحساسة. (الالوسي، ١٩٩٩، صفحة ٢٩٦) (الرازي، ٢٠٠٤، صفحة ٧٥)

قال الطباطبائي:" أن تغيير السياق من الخلق إلى الإنشاء، للدلالة على حدوث أمر حديث ما كان يتضمنه، ولا يقارنه ما تقدمه من مادة، فإنَّ العلقة مثلاً، وإن خالفت النطفة في أوصافها وخواصها من لون وطعم وغير ذلك إلا أنَّ في النطفة مكان كل من هذه الأوصاف، والخواص ما يجانسه، وإن لم يماثله كالبياض مكان الحمرة، وهما جميعاً لون بخلاف ما أنشأه الله أخيراً، وهو الإنسان الذي له حياة ، وعلم، وقدرة، فإن ما له من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

جوهر الذات وهو الذي نحكي عنه بأنا لم يسبق من سنخه في المراحل السابقة .... من الخواص والأوصاف، كالحياة، والقدرة، والعلم". (الطباطبائي، ٢٠٠٩، صفحة ١٨)

وجاء في الحديث المروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ قوله:" هو نفخ الروح فيه". (القمي، ١٩٩١، صفحة ٦٦)

وقد بين الله تعالى الخلق الأخر بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (سورة ص، آية٧٢) .ثم بين حقيقة الروح أنها من أمره سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسَـْٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا﴾ .(سورة الإسراء، آية ٨٥)

إن مفردة " الروح" تعني في الأصل التنفس والنفخ، وبالرجوع إلى علماء اللغة نجد أنهم يعتقدون باشتقاق مفردة الروح من " الريح" بمعنى الهواء والنسيم والرياح (منظور، ٢٠٠٦، صفحة ٣٤٣) .وبما أنَّ روح الإنسان أي ذلك الجوهر المستقل المجرّد، ومصدر الحياة والتفكير هي جوهر لطيف تشبه من حيث تحركها ومنحها للحياة التنفس والنسيم، فقد استعملت هذه المفردة للتعبير عنها ،فضلاًعن أنَّ علاقة الروح بالجسم لها ارتباط وثيق بالتنفس، لهذا استعملت هذه الكلمة في خصوص روح الإنسان .وقوله تعالى:" قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" . إشارة عميقة إلى مدى غموض ومجهولية هذه الظاهرة الكبيرة في عالم الوجود. وقوله تعالى:" وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي" .دليل على عظمة وأهمية الروح الإنسانية؛ لأضافتها إلى الله عز وجل. وهذا من قبيل الإضافة التشريفية حسب المصطلح، مثال " بيت الله" و" شهر الله" التي تشير إلى أهمية الكعبة وعظمة شهر رمضان المبارك.

وقد جمع القرآن كلا البعدين (المادي والروحي) بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (سورة السجدة ، آية٦-٩)

مما تقدم يتضح أن النظرة القرآنية للإنسان أنه حقيقة ذو بعدين، روحي، ومادي، أو عنصرين ،ملائكي، وأرضي، أو قل أنه كائن ملكوتي، وفلكي ، انه كائن علوي وسفلي .

وقد أشار الحديث لذلك " عن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام). فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ . فقال : قال أمير المؤمنين

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

علي ابن أبي طالب (ع) : ان الله عز وجل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل . وركب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم". (الريشهري، صفحة ٣٠١)

وآيات الخلق المتقدمة تشير الى الخلق التدريجي للإنسان ، من تراب ، ثم الى سائل"ماء" مهين، ثم الى نطفة، ثم يتحول بعدها الى أمشاج، وبعد ذلك تخلق له العظام، وتكسى باللحم حتى تنتهي هذه العملية بادخال الروح له، وهذه العملية المتمثلة " ثم انشأنه خلقا آخر" جعلت الانسان متمايزا في وجوده واستحق وصف أحسن الخالقين. وعملية الخلق المعقدة هذه حولت الانسان الى آية من آيات الله عز وجل. ﴿ وَفِي خَلقِكُم وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰت لِّقَوم يُوقِنُونَ﴾ (سورة الجاثية، آية ٤)

﴿ وَمِن ءَايَٰتِهِۦٓ أَن خَلَقَكُم مِّن تُرَاب ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَر تَنتَشِرُونَ﴾ (سورة الروم، آية ٢٠)

﴿ سَنُرِيهِم ءَايَٰتِنَا فِي ٱلأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ ٱلحَقُّ أَوَ لَم يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيء شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت، آية ٥٣)

﴿ وَفِي ٱلأَرضِ ءَايَٰت لِّلمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبصِرُونَ ﴾ (سورة االذاريات، آية ٢٠-٢١)

فالإنسان أثرٌ من آثار الله ، وآيةٌ من آيات خلقه ، ودليلٌ ومرشدٌ إلى وجود الله وحكمته ، إنَّ طبيعةَ الإنسان ذات البعدين المادي والروحي، اقتضت التدرج، والتكامل، والتغيير، والتزاحم، ولذا لم يتركه الله سدى ﴿ أَيَحسَبُ ٱلإِنسَٰنُ أَن يُترَكَ سُدًى﴾،(سورة القيامة، آية ٣٦) فقد زوده الله بكل المواهب، والطاقات، والأدوات التي تعينه على تحقيق آماله، وغاياته، والتي تسمى بالفطرة الانسانية، التي تعتبر من أهم عوامل تكامل الانسان، إذ أنها تدفعه إلى حب الكمال، وتشده نحو القيم الانسانية السامية، وهي مشتركة بين جميع افراد الإنسان، ثابتة في كل مكان، وزمان ،لا يطرأ عليها التحول ولا التغيير.﴿ فِطرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ ٱللَّهِ ﴾(سورة الروم، آية ٣٠) (اليزدي، ٢٠٠٤، صفحة ٥٨) إنَّ القرآن قرر في عبارة صريحة أنَّ النفوس كلها قد طبعت على أساس أنَّ الله قد ألهمها فجورها، وتقواها:﴿ فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَىٰهَا﴾ (سورة الشمس، آية ٧-٨)، فإلهام التقوى هو تعبير عن الهداية الفطرية نفسها الدالة على معرفة طريق الخير، كما أنَّ الهام الفجور هو بنفسه تعبير عن معرفة الشر، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على نحو يستطيع معه أن يميز الخير والشر، والتقوى والفجور. وأنه على نفسه بصير ، لقد غرس الله في الإنسان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

بصيرة أخلاقية غريزية، تساعده على جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، يستطيع أن يميز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، ويصدر احكاما تُقَّيم نوع السلوك الإنساني، ويؤكد القرآن على الشعور العام ، والإحساس الذاتي القادر على التمييز بين انماط السلوك المختلفة، ومعرفة الخير والشر، كما اعتبره أساساً في إقامة النظام الخلقي للفرد والجماعة.

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأمُرُ بِٱلعَدلِ وَٱلإِحسَٰنِ وَإِيتَاي ذِي ٱلقُربَىٰ وَيَنهَىٰ عَنِ ٱلفَحشَآءِ وَٱلمُنكَرِ وَٱلبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل، آية ٩٠)

﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلإِثمَ وَٱلبَغيَ بِغَيرِ ٱلحَقِّ وَأَن تُشرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِۦ سُلطَٰنا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾.(سورة الاعراف ،آية ٣٣)

فلم يكتف الله بالجانب الفطري المودع في النفس البشرية، بل أرسل رسله، وبعث أنبيائه، وأنزل كتبه لبيان ما غمض، وتفصيل ما أجمل في الفطرة، وأزال عنه كل علة يحتج بها على الله. فكثيرٌ ما ينفع الإنسان أو يضره لا علم للإنسان بتفصيله إلا عن طريق الوحي والأنبياء.

قال تعالى: ﴿ لَقَد مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلمُؤمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولا مِّن أَنفُسِهِم يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلحِكمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبلُ لَفِي ضَلَٰل مُّبِينٍ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٦٤)

المطلب الثاني: تسخير الكون للإنسان

أشار القرآن الكريم الى المكانة المتميزة التي يحتلها الإنسان في هذا العالم، ولعل أبرز الآيات التي تشير الى مكانته، وموقعيته، هي آية الخلافة لله في الإرض.

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِل فِي ٱلأَرضِ ﴾(سورة البقرة، آية ٣٠)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُم خَلَٰئِفَ ٱلأَرضِ ﴾،(سورة الانعام، آية ١٦٥) فهي تُبَين وبشكل واضح تَميَّز الإنسان وأفضليته على جميع المخلوقات الأخرى، ولا شك في أنَّ الخلافة الإلهية الممنوحة للإنسان، مشروطة بتحقق نفسه واكتمالها. فالإنسان في نظر القرآن موجود مصطفى من قبل الله، فضله على كثير ممن خلق.

قال تعالى: ﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلنَٰهُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ وَرَزَقنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلنَٰهُم عَلَىٰ كَثِير مِّمَّن خَلَقنَا تَفضِيلا﴾ .(سورة الإسراء ، آية ٧٠)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وقال تعالى: ﴿ أَلَم تَرَوا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ وَأَسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان، آية ٢٠)

وقال تعالى: ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلأَرضِ وَٱلفُلكَ تَجرِي فِي ٱلبَحرِ بِأَمرِهِۦ وَيُمسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلأَرضِ إِلَّا بِإِذنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم﴾ (سورة الحج ، آية ٦٥)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلبَحرَ لِتَجرِيَ ٱلفُلكُ فِيهِ بِأَمرِهِۦ وَلِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِۦ وَلَعَلَّكُم تَشكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ جَمِيعا مِّنهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰت لِّقَوم يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورةالجاثية، آية ١٢-١٣)

هذه الآيات تدل على أن الله سخر العالم لمصلحة الإنسان؛ ليقوم بمهمته على أكمل وجه، وتسخير الطبيعة للإنسان ليس أمرا جزافيا، بل تترتب عليه أثار مهمة تتجلى في التعقل والتفكر، والشكر، والتذكر. وبشكل عام فالقران الكريم يحاول التذكير بمكانة الانسان، ويُبِين مسؤولية الإنسان وأنه قادر بما زوده الله من امكانات واستعدادات وملكات على تحمل الامانة وعمارة الارض.

إنَّ الله أراد من الإنسان أن يساهم ويكون له تأثير في هذه الحياة ، من عمارة الأرض وعدم إتلافها، أو الإسراف والتبذير بها حتى تظهر وتبرز النعم الإلهية بشكل أكثر وأفضل. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرضِ وَٱستَعمَرَكُم فِيهَا فَٱستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيب مُّجِيب﴾. (سورة هود، آية ٦١)

الإنسان في القرآن هو أكمل الموجودات بما منحه الله من كمالات، واستعدادت لتحمل المسؤولية ومن أبرز النعم الإلهية للإنسان نعمة العقل، الذي يُعَدُّ أساس الإنسان ، ومعيار لقيمته ودرجات كماله ، وملاك تثمين قيمة الأعمال ، وميزان للجزاء ، وحجة الله الباطنة.فهو(العقل) أثمن منحة إلهية وُهبت للإنسان، وأهم ركائز الحياة الأساسية في الإنسان في المجال العقائدي والأخلاقي والسلوك . وجات الخطابات القرآنية زاخرة بالمفردات الداعية إلى التفكير، والتعقل والتدبر، والقرآن يرى أن السبيل الوحيد للتكامل المادي والروحي ، وإعمار الدنيا والآخرة، يكمن في استثمار نعمة العقل ، والتفكير السليم . (الريشهري م.، ١٤٢٥، صفحة ١٥٧)

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُم لَا تَعلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلۡأَبصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ (سورة النحل، آية ٧٨)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلۡأَبصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلٗا مَّا تَشكُرُونَ﴾ (سورة المؤمنون، آية ٧٨)

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلۡأَبصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلٗا مَّا تَشكُرُونَ﴾ (سورة السجدة، آية ٩)

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلۡأَبصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلٗا مَّا تَشكُرُونَ﴾ (سورة الملك، آية ٢٣)

وبالعقل صار الإنسان محلاً لتحمل المسؤولية ، وتحمل التكاليف الإلهية التي جاءت منسجمة مع طبيعته الإنسانية ، وفطرته ، فلم يكلفه بما هو خارج عن طاقته وامكانيته ورفع عنه السهو والنسيان.

قال تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا ٱكۡتَسَبَت رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخطَأنَا رَبَّنَا وَلَا تَحمِل عَلَينَا إِصرٗا كَمَا حَمَلتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨٦). ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَا ءَاتَىٰهَا سَيَجعَلُ ٱللَّهُ بَعدَ عُسرٖ يُسرٗا﴾ .(سورة الطلاق، آية ٧)

المطلب الثالث : حرية الإرادة الإنسانية

يتخلص المنظور القرآني في أن الإنسان حر فيما شاء وأراد ، و تصرح الآيات القرآنية بإختيارية الإنسان، وأنه فاعل مختار مسؤول عن عمله، فحرية الإرادة الإنسانية تمثل أساس خلق الإنسان ، ودعوة جميع الأنبياء ، ولا يستطيع الإنسان بدونها أن يخطو ولو خطوة واحدة في مسير التكامل " التكامل الإنساني المعنوي" ، وقد أكدت على ذلك آيات عدة على أن الله لو شاء أن يهدي الناس بإجباره لهم جميعا لفعل ، لكنه لم يشأ .

قال تعالى : ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤمِنِينَ﴾ (سورة يونس، آية ٩٩)

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنهَا جَائِرٞ وَلَو شَاءَ لَهَدَىٰكُم أَجمَعِينَ﴾ (سورة النحل، آية ٩)

وقد أبطل الله تعالى عقيدة من يعتقد أن الله أجبر الناس على ارتكاب الظلم ، والفحشاء.

بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدنَا عَلَيهَا ءَابَاءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُل إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأمُرُ بِٱلفَحشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾ (سورة الاعراف، آية ٢٨)، فصدر الآية يعكس

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

عقيدة المشركين، وأنه لولا أمر الله ومشيئته لما كنا مشركين ، وآخر الآية رد على المشركين ببيان أن الشرك ظلم وقبيح، والله لا يفعل ولا يأمر بهما ، وبالتالي لا تتعلق مشيئته بهما .

من خلال الرجوع للقرآن الكريم نجد إثبات حرية الإرادة الإنسانية من الواضحات .

أولاً: آيات صريحة فى الاختيار و إضافة الفعل إلى العبد

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الانسان ، آية ٣)

﴿قُل إِن ضَلَلتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفسِي وَإِنِ ٱهتَدَيتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيع قَرِيب﴾ (سورة سبأ، آية ٢٠)، الآية تنسب الضلالة إلى نفس الإنسان، والهداية إلى وحيه سبحانه إليه، مع أنّ الهداية والضلالة كلّها من الله سبحانه، وما هذا إلّا لأنّه سبحانه قد هيّأ كافّة وسائل الهداية للإنسان منذ أنْ خُلِقَ إلى أن يُدرج في أكفانه، وهي عبارة عن تزويده بفطرة التوحيد وتعزيزها ببعث الأنبياء والمرسلين، والعقل السليم، إلى غير ذلك من أدوات الهداية، فمن انتفع بها فقد اهتدى، فصحّ أن يقال: إنّ الهداية من الله لأنّه زوّد الإنسان بوسائلها، و من لم ينتفع بها فقد ضلّ فصحّ أن يقال "إن ضللت فانّما أضلّ على نفسي" (سبحاني، صفحة ٤٢) . وبهذا المضمون قوله سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَة وِزرَ أُخرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبعَثَ رَسُولا﴾ (سورة الاسراء، آية ١٥).

وقوله تعالى: ﴿قُل يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَد جَاءَكُمُ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَنِ ٱهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا وَمَا أَنَا عَلَيكُم بِوَكِيل﴾ (سورة يونس، آية ١٠٨)

﴿وَقُلِ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَن شَاءَ فَليُؤمِن وَمَن شَاءَ فَليَكفُر ﴾ (سورة الكهف، آية ٢٩)

﴿قَد جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُم فَمَن أَبصَرَ فَلِنَفسِهِۦۖ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيهَا وَمَا أَنَا عَلَيكُم بِحَفِيظ﴾ (سورة الانعام ، آية ١٠٤)

﴿ لِّيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَة وَيَحيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَة وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الانفال، آية ٤٢)

﴿كُلُّ ٱمرِيِٕ بِمَا كَسَبَ رَهِين﴾ (سورة الطور، آية ٢١)

﴿كُلُّ نَفسِ بِمَا كَسَبَت رَهِينَةٌ﴾ (سورة المدثر، آية ٣٨)

﴿ وَمَا تُجزَونَ إِلَّا مَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ (سورة الصافات، آية ٣٩)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

إلى غير ذلك من الآيات الدالَّة على أنّ الإنسان فاعل مسؤول عن أعماله، حرّ في إرادته مختار فيما يكتسب مالكا لمشيئته ومعينا لمسيره في مصيره

ثانيا: القصص القرآني واثبات حرية الإنسان:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة فصلت، آية ١٧)

فقد هداهم الله ببعث الانبياء إليهم ، لكنهم بسبب غرورهم وتكبرهم استحبوا العمى على الهدى باختيارهم وإرادتهم ، وهذا دليل على مبدأ حرية الإرادة الإنسانية وعدم الجبر

ثالثا: آيات المجازاة بالثواب أو العقاب فرع المسؤولية وحرية الإرادة الإنسانية:

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (سورة يونس، آية ٥٢)

﴿وَمَن جَاءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النمل ، آية ٩٠)

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة يس ، آية ٥٤)

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الصافات، آية ٣٩)

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. (سورة آل عمران، آية ٣٠)

إنَّ المجازاة بالثواب والعقاب مبدأ عقلائي سار عليه العقلاء ، وإنهما (الثواب والعقاب) لا يتعلقان إلا بالفعل الاختياري، فلو أنه أجبر عباده على فعل الطاعة أو فعل المعصية لم يكن جزاء المطيع بالجنة والعاصي بالنار إلا جزافاً في مورد المطيع ، وظلماً في مورد العاصي، والجزاف والظلم قبيحان عند العقلاء . إنَّ الأدلة القرآنية على حرية الإرادة الإنسانية من الكثرة ما تجعل المسألة من المسلمات الواضحة ، والرؤية القرآنية في نفس الوقت ترفض القول بالجبر يشتى صوره ، كذلك ترفض التفويض المطلق للأنسان ، فإذا جمعنا مع الآيات المتقدمة التي تثبت أن الإنسان مسؤول عن أعماله مع الآيات القرآنية التي تعمم مشيئة الله ، وخلق الله ، نخرج برؤية قرآنية تثبت عدم خروج الإنسان عن محيط الله، وأنه محتاج إلى لطفه، وعنايته، وتوفيقه في كل آن ، وهذا من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

قال تعالى:﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيما﴾ (سورة الانسان، آية ٣٠)

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ (سورة التكوير، آية ٢٩)

﴿قُل لَّا أَملِكُ لِنَفسِي نَفعا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ﴾ (سورة الاعراف، آية ١٨٨)

﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِۦ مِن أَحَدٍ إِلَّا بِإِذنِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة البقرة، آية ١٠٢)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذنِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة يونس، آية ١٠٠)

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٥١)

إنَّ العبد يقوم بكل فعل، وترك، باختيار، وحرية، ولكن بإقدارٍ وتمكينٍ منه سبحانه، فليس للعبد في غنى عنه سبحانه في فعله وتركه ، فهو يعمل في ظل عناياته وتوفيقاته ، وهذا المعنى أكدته الرويات المروية عن أهل البيت.

– عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : " ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ، ولا تخاصمون عليه أحدا إلا كسرتموه ، قلنا : إن رأيت ذلك . فقال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه . وهو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته ، لم يكن الله عنها صادا ، ولا منها مانعا ، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال (عليه السلام) : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه" (الصدوق، صفحة ٤٥١).

– عن الحسن بن علي الوشاء، " عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال : سألته فقلت له : الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعز من ذلك ، قلت : فأجبرهم على المعاصي؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك، ثم قال: قال الله عز وجل: يابن آدم انا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك" (الصدوق، صفحة ٤٥٢)

المطلب الرابع: الغاية من خلق الإنسان

وردت في القرآن الكريم تعابير كثيرة مختلفة في شأن الغاية من خلق الإنسان منها:

أولا: العبادة.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات ، آية ٥٦)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

قال الطوسي:" هذا اخبار من الله تعالى أنه لم يخلق الجن والأنس إلا لعبادته، فإذا عبدوه استحقوا الثواب ، واللام لام الغرض، ولا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأن كثيرا من الخلق لا يعبدون الله. "(الطوسي، ١٤٠٩، صفحة ٣٩٨). فالعبودية هي الغرض الإلهي من خلق الانسان، فالله سبحانه إنما يرضى عن نفس عبده إذا كان مثالا للعبودية ، أي أن يكون نفسه نفس عبد لله الذي هو رب كل شئ ، فلا يرى نفسه ولا شيئا غيره إلا مملوكا لله ،خاضعا لربوبيته ،لا يؤوب إلا إلى ربه ، ولا يرجع إلا إليه ، كما قال تعالى في سليمان وأيوب : ﴿وَوَهَبنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيمَٰنَ نِعمَ ٱلعَبدُ إِنَّهُۥ أَوَّابٌ ﴾ (سورة ص ، آية ٣٠)،﴿إِنَّا وَجَدنَٰهُ صَابِرا نِّعمَ ٱلعَبدُ إِنَّهُۥ أَوَّاب﴾ (سورة ص ، آية ٤٤)، وهذا هو الرضى عنه . وهذا من مقامات العبودية ، ولازمه طهارة النفس عن الكفر بمراتبه وعن الاتصاف بالفسق ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَرضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلكُفرَ ﴾ (سورة الزمر ، آية ٧) ، وقال تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرضَىٰ عَنِ ٱلقَومِ ٱلفَٰسِقِينَ﴾ (سورة التوبة ، آية ٩٦). ومن آثار هذا المقام أن العبودية إذا تمكنت من نفس العبد ورأى ما يقع عليه بصره وتبلغه بصيرته مملوكا لله خاضعا لامره فإنه يرضى عن الله فإنه يجد أن كل ما آتاه الله فإنما آتاه من فضله من غير أن يتحتم عليه فهو جود ونعمة ، وأن ما منعه فإنما منعه عن حكمة. فالعبادة منهج لتربية الإنسان في الأبعاد المختلفة... العبادة بمعناها الشمولي التي هي التسليم لأمر الله ستهب روح الإنسان تكاملا في الأبعاد المختلفة. وهي تتمثل في أمرين رئيسيين :

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أنَّ هناك عبداً وربـاً. عبداً يعَبد، وربـاً يُعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد.

الثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في الجوارح ، وكل حركة في الحياة. التوجه بها إلى الله خاصة ، والتجرد من كل شعور آخر ؛ ومن كل معنى غير التعبد لله.

وبهذا يتحقق معنى العبادة ؛ ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله... كلها عبادة. (قطب، ٢٠٠٤، صفحة ٣٣٨٧)

ثانيا: معرفة الله

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَٰوَٰت وَمِنَ ٱلأَرضِ مِثلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلأَمرُ بَينَهُنَّ لِتَعلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِير وَأَنَّ ٱللَّهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَا﴾ (سورة الطلاق ، آية ١٢)

يشير الله تعالى إلى الهدف من وراء هذا الخلق العظيم هو تعريف الإنسان بصفات الله في علمه وقدرته، وهما صفتان كافيتان لتربية الإنسان. أن معرفة الله هي الوسيلة لتكامل الخلق ،أي أن الله أحب أن يستوعب فيض رحمته كل مكان ، فلذلك خلق الخلق وعلمهم طريقة وسبيل معرفته ليسيروا نحو التكامل والكمال؛ لأن معرفة الله رمز تكاملهم. أن ذات الله هي منبع جميع الكمالات ، ويسترفدوا لأنفسهم من كمالاته ، ويستلهموا منه في وجودهم؛ ليشرق في وجودهم ومض من صفات كماله وجلاله، فالتكامل والقرب من الله لا يتحققان إلا عن طريق التخلق بأخلاقه، وهذا التخلق فرع معرفته .

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:" خرج الحسين بن علي (عليها السلام) فقال: " أيها الناس ، إن الله جل ذكره خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه" (الصدوق، ٢٠٠٤، صفحة ٥٦) .فالإمام يؤكد على أن فلسفة الخلق تكمن في معرفة الله، فالإنسانية لا تستطيع الترقي في سلم التكامل إلا من خلال العبودية الحقيقية المحضة لله عز وجل فهي كفيلة بضمان الحاجات المادية والمعنوية اللازمة لتكامل الإنسان وهذا يأتي عن طريق معرفة الله وتحري صفاته والتخلق بها. (الريشهري م.، القيادة في الاسلام، صفحة ١١٤)

ثالثاً: الغاية من الخلق الحياة الآخرة:

يثبت القرآن الكريم أن الحياة الآخروية هي الغاية من خلق الإنسان، وأنها لولاها لصارت الحياة منحصرة بالحياة الدنيا ، ولأصبح إيجاده وخلقه عبثا وباطلا، والله منزها عنهما (السبحاني، ٢٠٠٩، صفحة ٣٩٨) ،قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَٰكُم عَبَثا وَأَنَّكُم إِلَينَا لَا تُرجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ١١٥). إن الإنسان خلق للآخرة لا للدنيا ، لحياة طيبة لا مشاكل فيها ولا تعقيد .ولكن شاءت حكمة الله أن يربط بين الحياة الطيبة بالآخرة التي خلق الإنسان من أجلها وبين صدق الأيمان بالحق والأخلاص له ، كما قضت حكمته تعالى أنَّ من لا يؤمن بهذا الارتباط ، أو يؤمن نظرياً ولا يعمل له أن يحاسب حساباً عسيراً، ويعذبه عذاباً أليماً ؛ لأنه جهل أو تجاهل الغاية التي من أجلها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

خلقه، وتنكب الطريق السوي بسوء اختياره، إنَّ حياة الإنسان بواقعها باقية ببقاء خالقها، وإنما وضع الله الدنيا مؤقتا وإلى حين ، ثم ينتقل إلى دار القرار، وأمره أن يعمل للدارين معا ، ويحتاط ما لما يمكن أن يقع له في الدار الأولى ، ولما هو واقع لا محالة في الدار الثانية، فإن امتثل وأطاع فقد اختار لنفسه الأمن والفلاح ، ومن أعرض وتوانى فقد اختار لها شر العواقب. (مغنية، ١٤٢٤، صفحة ١٧٢)

والآيات التي تدل على أن الغاية من خلق الانسان الحياة الآخروية كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ٱعلَمُواْ أَنَّمَا ٱلحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا لَعِب وَلَهو وَزِينَة وَتَفَاخُرُ بَينَكُم وَتَكَاثُر فِي ٱلأَمۡوَٰلِ وَٱلأَولَٰدِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ ٱلكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصفَرّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰما وَفِي ٱلأٓخِرَةِ عَذَاب شَدِيد وَمَغفِرَة مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضوَٰن وَمَا ٱلحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا إِلَّا مَتَٰعُ ٱلغُرُورِ﴾ .(سورة العنكبوت ، آية ٦٤)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا إِلَّا لَهو وَلَعِب وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلحَيَوَانُ لَو كَانُواْ يَعلَمُونَ﴾ (سورة الحديد ، آية ٢٠)

ومنها الآيات الدالة على على خلود من آمن وأحسن في الجنة، وخلود من كفر وأساء في النار . قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ لِيَجزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجزِيَ ٱلَّذِينَ أَحسَنُواْ بِٱلحُسنَىٰ﴾ (سورة النجم ، آية ٣١) .وبما أن هذا الجزاء لم يتحقق في الدنيا فتعين أن يكون في اليوم الآخر ، وإلا كان وعد الله تهويلا .. تعالى الله عما يقول الجاهلون .

وقد أشار إلى ذلك الإمام علي (عليه السلام):" فان الغاية امامكم ، وانّ ورائكم السّاعة تحدوكم ، تخفّفو تلحقو ، فانّما ينتظر باوّلكم آخركم" (الرضي، ٢٠٠٤، صفحة ٤٦).أورد عليه السّلام هذه الخطبة لبيان الغاية من خلق الانسان وانّ سيره إلى القيامة فقال عليه السّلام مشيرا إلى امر الاوّل فانّ الغاية امامكم والى الثّانى وانّ ورائكم السّاعة تحدوكم. (التقوي، صفحة ٥٥٢)

رابعا: الامتحان وحسن العمل :

قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى ٱلأَرضِ زِينَة لَّهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلا﴾ (سورة الكهف، آية ٧).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

تبين هذه الآية الكريمة أنَّ أحد الأهداف الرئيسة من خلق الإنسان هو ابتلاؤه واختباره في هذه الحياة الدنيا؛ وذلك ليتيح لكل إنسان الفرصة كاملة لإثبات استحقاقه ؛ وليكشف الستار عن دخيلته وحقيقته (النجار، ٢٠٠٨، صفحة ٢٠)، وتظهر أفعاله التي يستحق بها الثواب والعقاب في الآخرة. ومعنى ابتلاء الله الناس بزينة الأرض أن تظهر بسببها وتبرز إلى الوجود أفعالهم وأعمالهم التي يستحقون بها الثواب والعقاب ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلمَوتَ وَٱلحَيَوٰةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلا وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلغَفُورُ﴾ (سورة الملك ، آية ٢)

قال العلامة الطباطبائي:" (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) اللام للغاية، والبلاء الامتحان والاختبار ، وقوله تعالى : (أيكم أحسن عملا) بيان للاختبار، والامتحان في صورة الاستفهام والمراد أنه تعالى خلق السماوات والأرض على ما خلق لغاية امتحانكم وتمييز المحسنين منكم من المسيئين.ومن المعلوم أنَّ البلاء والامتحان أمر مقصود لغيره وهو تمييز الجيد من الردى والحسن من السيئ". (الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ٢٠٠٩، صفحة ١٢٣)

خامسا: الرحمة

قال تعالى: ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّة وَٰحِدَة وَلَا يَزَالُونَ مُختَلِفِينَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُم ﴾

اختلف المفسرون في تحديد الهدف من الخلق في هذه الآية ، ومنشا الاختلاف في مرجع " لذلك" . فمن قال : أنها ترجع إلى الاختلاف وهو المروي عن ابن عباس والحسن وعطاء ومالك، و أنَّ اللام لام العاقبة ، والتقدير أنه خلقهم وعلم أن عاقبتهم. تؤل إلى الاختلاف المذموم ، كما قال ﴿ فَٱلتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرعَونَ لِيَكُونَ لَهُم عَدُوّا وَحَزَنًا ﴾ (سورة القصص ، آية ٨)

و من أسباب ترجيح هذا القول ، أنَّ الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظه ذلك، ولو أرادها لقال ولتلك خلقهم، فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه إلى الاختلاف أولى (المرتضى، ١٣٨٤، صفحة ٩٤)، فهو الهدف من خلق الناس، أي لما كان الإنسان مخلوقا يختار طريقة بحريته فإن لازم ذلك الاختلاف ، فيختار بعضهم طريق الخير ، ويسلك آخرون طريق الشر ، ولما كان اختياره الحر في صياغة مصيره مستلزما لوجود الاختلاف فإنه يمكن القول بأن الإنسان قد خلق للإختلاف.

وذهب السيد المرتضى إلى أنَّ " ذلك" ترجع إلى الرحمة ، وحمل " ذلك" على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف ، بدليلين . .الأول: دليل العقل ، وذلك أن الله تعالى كره

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

الاختلاف والذهاب عن الدين، ونهى عنه وتوعد عليه، فكيف يجوز أن يكون شائيا له ومخبرا بخلق العباد عليه . . والثاني: شهادة اللفظ فلأنَّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب . .والقول بأن الرحمة مؤنثة ولا يجوز الكناية عنها بالمذكر بمفردة" ذلك"، فباطل ؛لأنَّ تأنيث الرحمة غير حقيقي، وإذا كنى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لأنَّ معناها هو الفضل والانعام، كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا رَحمَة مِّن رَّبِّي ﴾ .ولم يقل هذه وإنما أراد هذا فضل من ربي. ونظيره قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَحمَتَ ٱللَّهِ قَرِيب ﴾ (سورة الأعراف ، آية ٥٦). واختاره الطبرسي ، وعبر عنه بالصحيح ، وقال: " أن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾كما يدل على الرحمة ، يدل أيضا على أن يرحم ، فلا يمتنع أن يكون المراد : لأن يرحموا خلقهم" (الحسن، ٢٠٠٥، صفحة ٣٥٠).فالهدف من خلق الإنسان هو الرحمة، أي أنه نتيجة لأعماله الاختيارية يصبح مؤهلا لرحمة الله بعباده الصالحين، فيكون الهدف من خلقه هو وصوله إلى أرفع درجات الرحمة الممكنة للمخلوقات. (اليزدي، معارف القران، ١٤٢٦، صفحة ٢٤٦)

وهذا المعنى تؤكده بعض الروايات المروية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) . عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام ، قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُختَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُم ﴾(سورة هود ، آية ١١٨-١١٩) قال : خلقهم ليفعلوا ما يستوجبوا به رحمته فيرحمهم (الصدوق ا.، ٢٠٠٩، صفحة ٤٨٨) .

كل ما تقدم يشير إلى بعد من أبعاد الغاية من الخلق ، وهي تربية الناس وهدايتهم وتقدمهم وتكاملهم ، وكل ذلك يُعَدُ الهدف النهائي للخلق . فلا تضاد، ولا تعارض، ولا اختلاف بين هذه الآيات ، ففي الحقيقة بعضها هدف مقدمي ، وبعضها هدف متوسط ، وبعضها هدف نهائي ، وبعضها نتيجة ، فالعلم ، والمعرفة ، مقدمة للعبودية، والعبادة هي الآخرى مقدمة للامتحان وتكامل الإنسان وهذا مقدمة للاستفادة من رحمة الله ، فالهدف الأصلي هو " العبودية" ، أما المعرفة، والامتحان، وأمثالهما، فهي أهداف ضمن مسير العبودية لله ،وهكذا يتضح أننا خلقنا لعبادة الله ، والعبودية هي قمة التكامل والتي تعني الطاعة بلا قيد، ولا شرط، والإمتثال للأوامر الإلهية في جميع المجالات.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

أهم النتائج

أولا: يُبِينُ القرآن الكريم أنَّ الإنسان جسد وروح لا انفصام بينهما، وأنَّ الإنسان مخلوق مكرم ، خلقه الله تعالى بقدرته، ونفخ فيه من روحه ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وسخَّر له ما السموات والأرض، واستخلفه في الأرض لعمارتها ، وإقامة العدل.

ثانيا: إنَّ الله لم يترك الإنسان سدى ، بل زوده بكل ما ينتفع به في صالح دينه ودنياه ، من معارف فطرية، وحمله المسؤولية ، بأن جعله حراً مسؤولاً عن تصرفاته، وبعث إليه الأنبياء والرسل ، وأنزل الكتب ، وسنَّ له القوانين والتشريعات ، كل ذلك من أجل تكامل الإنسان ، الذي يتجلى، بصفة العبودية لله وحده.

ثالثا: لم يحصر القرآن الكريم الغاية من خلق الإنسان في أمرٍ واحدٍ ، بل هناك أكثر من مورد لبيان الغاية من خلق الإنسان كلها تنصب في خانة التكامل للإنسان الذي يريده الله عز وجلَّ للإنسان.وأنه لا تناقض ولا تضاد بين هذه الغايات، فبعضها تمثل هدفا قريبا ، وبعضها تمثل هدفا متوسطا ، والبعض الآخر يمثل هدفا بعيدا، أو نتيجة للخلق .

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن فارس، ابو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨
٢. ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صبح، بيروت، ٢٠٠٦
٣. الألوسي ، شهاب الدين محمود، روح المعاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلم السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٩٩
٤. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢، ٢٠٠٤
٥. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٦
٦. الريشهري، محمد ، القيادة في الإسلام ، دار الحديث ، قم، بلا
٧. الريشهري، محمد ، ميزان الحكمة، ، دار الحديث، قم ، ٢٠٠١م.
٨. السبحاني، جعفر ، محاضرات في الإلهيات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩م
٩. السبحاني، جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الصادق، قم ، ١٤٢٠هـ
١٠. الشريف الرضي، نهج البلاغة، مؤسسة أنصاريان، قم ، ط٢، ٢٠٠٤م
١١. الشريف المرتضى ، الأمالي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم ، ١٩٠٧

١٢. الشيرازي ، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، الأعلمي ، بيروت، ٢٠٠٧.
١٣. الشيرازي ، ناصر مكارم، نفحات القرآن، مدرسة الامام علي بن أبي طالب، قم ، ١٤٢٦هـ)) سورة ا
١٤. الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، علل الشرائع، دار الكتاب الاسلامي، قم ، ٢٠٠٤م
١٥. الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،التوحيد ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ٢٠٠٩م.
١٦. الطباطبائي، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي ، بغداد، ٢٠٠٩.
١٧. الطبرسي، أبو علي الفضل الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م
١٨. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨
١٩. القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم ، تفسير القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩١م
٢٠. مغنية، محمد جواد ، التفسير الكاشف، دار لكتاب الاسلامي، قم ، ١٤٢٤هـ
٢١. النجار ، زغلول راغب محمد، من آيات الاعجاز العلمي، الانسان من الميلاد الى البعث ، دار المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٨م
٢٢. النقوي، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، بلا
٢٣. اليزدي ، محمد تقي مصباح، معارف القرآن ، ذوي القربى، قم، ١٤٢٦هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية